# لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء الثامن والعشرون: المقطع الأول: تفسير الآيات ٤-٦ من سورة الممتحنة

المقطع الثاني: تفسير الآيات١٠-١٢ من سورة التحريم

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الثامن والعشرون من سلسلة اللقاءات المباركة في هذا الشهر المبارك، أسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من المقبولين الذين صاموا وقاموا إيمانًا واحتسابًا، اللهم آمين.

ومن ضمن العبادات التي نتقرب بها إلى الله **تدبّر القرآن**، ومن يتدبّر القرآن يلحظ أمرًا مهمًّا لمن شرح الله صدره وفتح عليه، **يرى السور كيف أنها في تتابعها غاية في الإحكام والاتساق والتناسب**، فإن بعضها آخذ برقاب بعض، فكل سورة تجمعها وجه مناسبة لما ختمت به السورة التي قبلها، وتكون مكملة لمقاصدها وموضوعاتها في صورة تحمل العبد على أن يعلم أن هذا الكتاب من لدن حكيم خبير، صورة تزيد الإيمان، صورة تجعل العبد يترقّى ويتأدّب بما في القرآن، وهذا الأمر ربما يظهر لبعض الناس وربما لا يظهر، ولكن من زاد تدبرًا، ظهرت له خواتيم السور مع افتتاحات السور وعلاقاتها، وظهر له مواضيع السور وتقاربها.

فإننا لو تأمّلنا فقط الفاتحة والبقرة لوجدنا أمرًا عجيبًا، فإن في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ الفاتحة:٦، سؤال من الخلق يريدون الصراط المستقيم، فكأنه قيل: ذلك الصراط الذي سألتم وأردتم هو الكتاب ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾البقرة: ١– ٢.

ومثله لو تأمّلنا في سورة قريش ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴾ قريش:١، وسورة الفيل، وكثير يطول المقام في ذكره.

لكننا قدمنا هذه المقدمة لكي نتصور هذا الأمر المهم **وننظر إلى سورة المجادلة وما بعدها نظرة من هذه الجهة**، نمتّع أنفسنا بما رزقنا الله به من كتاب، وشرح الصدور للعلم، فالحمد لله الذي يعلم خلقه ويبين لهم وييسر لهم الطرق.

**فلو نظرنا مثلا في سورة المجادلة** إلى شيء من مواضيعها التي سيستمر، فنظرنا في الآية السابعة عشر في نقاش طويل وصلنا في الآخر الآية السابعة عشر ﴿ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ الأموال والأولاد وعلاقتك بهم،

أنت إلى أية جهة تميل، وإذا نظرنا في الآية ١٩ في نفس سورة المجادلة سنسمع عن الشيطان ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾، نسمع في الآية الأخيرة في سورة المجادلة ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ ﴾ المجادلة: ٢٢، إذًا في آية ١٧ ﴿ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم ﴾ ، وفي ١٩ سنجد الكلام عن الشيطان وكيف أنهم أصبحوا من حزبه، وفي آية ٢٢ سنجد مسألة الولاية وموادة من حاد الله ورسوله.

**نأتي إلى سورة الحشر**، فننظر في الآية ( ٩-١٠)، نبدأ بالتاسعة، علاقات أخرى، ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً ﴾ ، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ ، هذه في الآية ١٠ ، فهناك الذين تبوؤوا الدار والإيمان يحبون من هاجر إليهم، هؤلاء الأنصار والمهاجرين علاقتهم بعضهم ببعض، وفي الآية ١٠ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، كل هذا إشارة إلى علاقات من نوع خاص، فهناك في المجادلة كان الكلام عن الأموال والأولاد وكيف أنها لن تغني وكيف أنهم أصبحوا حزب الشيطان، وأن القوم المؤمنين لا يوادون من حاد الله، وهنا تسمع من اجتمعوا من أجل الإيمان، وأتى الذين من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.

**ثم نأتي إلى سورتنا التي هي مقصودنا، سورة الممتحنة**، فنأتي إلى الآية ٣ ونجد قوله تعالى:﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾ ، الأرحام والأولاد، الولايات، العلاقات، ستجدها واضحة جدا، إلى نجد الآية التي بعدها ٤ ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾، وإذا فهمنا الآيات جيدا سنفهم كيف تكون العلاقات، لأن الآية المقصودة للدراسة تبين علاقتنا بإبراهيم عليه السلام وعلاقة إبراهيم بأبيه.

إلى أن نصل إلى **سورة الصف**، فنجد الآية ١٤ بعد نقاش ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾، إذًا هناك حزب الله، وهناك حزب الشيطان، وهناك الولاية لله، وهناك الولاية لمن عادى الله.

إذًا حُذّرنا فيما سبق من أبنائنا وأهلينا وأرحامنا ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ ﴾ الممتحنة:٣، وتأتي تختم الممتحنة بمبايعة المؤمنات على ألا يشركن، المبايعة التي فيها العلاقة، إلى أن نأتي في سورة الصف ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ الصف: ١٤.

نأتي في **سورة الجمعة** ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ الجمعة: ١١ ، الولايات، الارتباطات، العلاقات، كل هذا يوصف هنا وكيف يجب أن يكون.

إلى أن نأتي إلى **سورة المنافقون**، فنسمع الله عزّ وجلّ يقول لنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ المنافقون: ٩ ، الأولاد، الأموال، أي تسمع في سورة الجمعة ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ ، وتسمع في المنافقين ﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ .

وفي **سورة التغابن** في الآية فنجد في الآية ١٤و ١٥ الأمر واضح صريح ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ ، وفي الآية١٥ ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ، فكل هذا تأسيس وتقعيد للعلاقات بينك وبين الخلق حولك، كيف تنظر إليهم وإلى أي حزب تميل، مع من أنت؟ ولذلك سيتبيّن لنا إن شاء الله من المقطعين المختارين للدراسة اليوم كيف يجب لنا أن تكون علاقاتنا على ما يتيسر.

هذا كان في التغابن إلى أن نصل إلى **سورة الطلاق**، فسمعنا نحن في التغابن أن أزواجكم وأولادكم عدو لكم فاحذروهم، وفي الطلاق نسمع العكس، ربما أنتم تتعدون حدود الله بسبب عدم اتقائكم لله في التعامل مع هؤلاء، ففي الآية الأولى ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ ﴾، في نفس السورة في آخر سورة الطلاق بعد الكلام عن الطلاق والعلاقة بين الزوج والزوجة، نأتي للآية ٨ ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ .

المقصود اتقوا الله يا أولي الألباب، كونوا على تقوى الله في علاقاتكم، لا تظلموا أنفسكم ولا تظلموا أزواجكم، فإن كانوا عدوًّا بالافتتان بهم وحبهم والتحزب لهم، لا تفعلوا الضد فتظلموهم.

إلى أن نأتي إلى **سورة التحريم** فنجد في الآية ٦ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ ، هذه هي العلاقة التي يجب أن تكون، لا تتعلق بهم ولا تهضم حقهم، ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾.

ووصف بالتفصيل هذا الأمر العظيم الذي يجب أن يكون في قلوبنا الخوف منه على نفسونا وعلى ذرارينا.

إلى أن نصل إلى مقصودنا في الآية ١١ ، ١٢ ، ١٣ في ضرب المثل للذين كفروا كيف كانت علاقتهم بنسائهم وكيف كانت علاقة نسائهم بهم، وبالعكس في امرأة فرعون ومريم ابنة عمران.

**فما أعجب هذا الكتاب! وما أعظم ما فيه لتربية النفوس!** عرفه من عرفه، وجهله من جهله.

اقرؤوا مرة أخرى هذه السور قراءة من يريد أن يعرف من هم حزب الله، الذين قال الله عزّ وجلّ عنهم في **آخر سورة المجادلة**: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾، واقرأ في هذه السور لتعرف من هم حزب الشيطان الذين قال الله عزّ وجلّ عنهم في المجادلة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾، حزب الشيطان هم الخاسرون، وحزب الله هم المفلحون، اقرأ في المجادلة لتعرف حزب الشيطان ما حاله.

واقرأ مثله في **الحشر** ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ، اقرأ لتعرف من هم حزب الله، ومن هم حزب الشيطان، كيف تجمع علاقتك مع هؤلاء، كيف تكون علاقتك مع هؤلاء الخلق، من توالي؟ ممن تبرأ؟ كيف يكون علاقتك مع القريبين من الزوج والأبناء وهم أعداء؟ كيف أنجو أنا وهم؟

فاقرأ هذه السور قراءة من يريد أن يصل الى هذه المعاني، سبحان من أنزل الكتاب وأجرى السحاب، وشرح الصدور أولي الألباب لفهم هذا الكتاب العظيم والنور المبين، فالحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي تمم علينا هذا الشهر نسأل الله عز وجل أن نخرج منه ونحن مقبولين، ونسأله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الشهر مفتاحا لحياة طيبة مع القرآن،نبدأ بدراسة مقصودنا، نبدأ بوطن الممتحنة في قوله تعالى:

﴿ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ الممتحنة: ٣، هذه الآية واضحة الشأن في الإشارة إلى العلاقة بين الأرحام والأولاد وبيننا.

ولما تنظر إلى سورة الممتحنة يزيد بيانها وفهمها أن تعرف أن هذه السورة العظيمة نزل مطلعها في الموقف المعروف، في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، وقد كان رجلاً من المهاجرين وكان من أهل بدر وكان له في مكة أموال وأولاد ولم يكن من أهل قريش أنفسهم بل كان حليفًا لعثمان، فلما عزم النبي صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد وتجهز النبي صلى الله عليه وسلم للغزوة وقال اللهم غم عليهم خبرنا، كان في ذاك الوقت حصل من حاطب بن أبي بلتعة أن بعث كتابًا مع امرأة من قريش، من أجل أن يخبر أهل مكة بهذا الخبر، فلما أخبره الله بذلك وتبيّن أمره، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتى حاطب وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال له ما فعل حتى أنه في كلامه قال: وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا ، وَلاَ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ))، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: ((إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ – عَزَّ وَجَلَّ – اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ))[1].

فهذه القصة المعروفة هي **والله أعلم سبب نزول صدر هذه السورة**، وبذلك يتبيّن المعنى: أنه ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ في من؟ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ، من أي جهة كانت لنا فيه أسوة حسنة؟! في علاقاته، في براءته، ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ ﴾ ، هنا موقف البراءة، تبرؤوا منهم ومما يعبدون من دون الله، ليس فقط البراءة وإنما أظهروا أيضا الكفر ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ ، بمعنى أنهم تبرؤوا وأظهروا اعتقادهم فيما يعبدون من دون الله، وأنهم يعتبرونه كفرا، ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ ﴾ ظهرت ﴿ أَبَدًا ﴾ ، ما دمتم مستمرين على كفركم، من أين مادمتم مستمرين قالوا لهم: ﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾.

إذًا يا أيها المؤمنون عندكم أسوة في علاقتكم بالكافرين، أين هذه الأسوة؟ إبراهيم عليه السلام والذين معه، ماذا فعلوا؟ تبرؤوا وكفروا بالمعبودات من دون الله وعادوا وأبغضوا ووضعوا شرطًا في علاقاتهم وهو أن تؤمنوا بالله وحده، إبراهيم قدوة في التوحيد والإيمان وبالقيام بلوازم ذلك كله، ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ ، إذًا اتخذوه قدوة في كل شيء إلا في هذا الشيء لا تتخذوه قدوة.

[1] متفق عليه.

﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ ، إذًا لا تتخذوا استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه قدوة، وتقولون في مسألة الاستغفار لأبيه إننا في ذلك متبعون لملة إبراهيم، فإن الله ذكر عذر إبراهيم في ذلك ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ التوبة: ١١٤ ، إذًا هو لكم قدوة في كل شيء إلا في قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وله في ذلك عذر، فاتخذوه لكم قدوة وأسوة، واتخذوه أسوة في توكله ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

ثم يدعوا فيقول: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

كيف يكون الإنسان المؤمن فتنة للكافر؟ سنعرف من خلال كلام الشيخ إن شاء الله إجابة على هذا السؤال.

﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۖ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦ ﴾ الممتحنة: ٤ – ٦.

**نقرأ الكلام من كلام الشيخ ما يجيب على أسئلتنا من أجل أن ننتقل للمقطع الثاني.**

قال الشيخ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾

**"فلذلك حذركم من موالاة الكافرين الذين تضركم موالاتهم".** في الآية السابقة.

"**قد كان لكم يا معشر المؤمنين {أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} أي: قدوة صالحة وائتمام ينفعكم**". هناك قدوة وائتمام ينفعكم، من هو؟

"**{فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} من المؤمنين** لماذا؟ **لأنكم قد أمرتم أن تتبعوا ملة إبراهيم حنيفا**". وهو قدوتكم، وانظروا إلى أفعاله.

"**{إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي: إذ تبرأ إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين، من قومهم المشركين ومما يعبدون من دون الله.**

**ثم صرحوا بعداوتهم غاية التصريح، فقالوا: {كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا} أي: ظهر وبان {بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ} أي: البغض بالقلوب، وزوال مودتها، والعداوة بالأبدان، وليس لتلك العداوة والبغضاء وقت ولا حدّ، بل ذلك {أَبَدًا} ما دمتم مستمرين على كفركم {حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} أي: فإذا آمنتم بالله وحده، زالت العداوة والبغضاء، وانقلبت مودة وولاية".**

**"فلكم أيها المؤمنون أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه في القيام بالإيمان والتوحيد، والقيام بلوازم ذلك ومقتضياته، وفي كل شيء تعبدوا به لله وحده".**

**"{إلا} في خصلة واحدة وهي {قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ} آزر المشرك، الكافر، المعاند، حين دعاه إلى الإيمان والتوحيد، فامتنع، فقال إبراهيم: {لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ و} الحال أني لا {أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} لكني أدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا. فليس لكم أن تقتدوا بإبراهيم في هذه الحالة".**

ألا وهي حالة الدعاء والاستغفار للمشرك.

**"التي دعا بها للمشرك، فليس لكم أن تدعوا للمشركين، وتقولوا: إنا في ذلك متبعون لملة إبراهيم، فإن الله ذكر عذر إبراهيم في ذلك بقوله: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إن إبراهيم لأواه حليم}. ولكم أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه، حين دعوا الله وتوكلوا عليه وأنابوا إليه".**

ماذا قالوا؟ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا.

**"واعترفوا بالعجز والتقصير، فقالوا: {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا} أي: اعتمدنا عليك في جلب ما ينفعنا ودفع ما يضرنا، ووثقنا بك يا ربنا في ذلك.**

**{وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا} أي: رجعنا إلى طاعتك ومرضاتك وجميع ما يقرب إليك".**

إذًا التوكل والإنابة عبادتان تتكرران في القرآن تدلّان على الإيمان؛ لأن المؤمن قوي الإيمان يعلم أن الأمر بيد الله، وأنه هو الذي يصرف الأمور، وأنه ابتلى الناس بهذه الأقدار التي تجري عليهم، هذا يجعل الإنسان يطمئن لله ويعتمد عليه ولا يشغل نفسه إلا بالإنابة والعودة إليه، فينظر للأحداث التي تجري عليه على أنه مطلوب منه في هذه الأحداث أن يظهر لربه الرضا والثقة به، فما أن تحصل عليه أحداث إلا والتوكل والإنابة العبادتان اللتان لا ينفك عنهما مؤمن قوي الإيمان.

يقول: "**فنحن في ذلك ساعون، وبفعل الخيرات مجتهدون، ونعلم أنا إليك نصير، فسنستعدّ للقدوم عليك، ونعمل ما يقربنا الزلفى إليك**".

إذًا هذا هو الذي يشغلهم تمامًا:

- ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ هذه العبادة الأولى (العبادة القلبية).
- ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ بجوارحنا وألسنتنا وقلوبنا، ونعود إليك بالطاعات، وكلما وجدنا أنفسنا قد غفلنا عن طاعتك نستغفرك على ما فات

- ونحن نعتقد أنه ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هذا يدفعنا إليك ويجعلنا نطلب الزلفى عندك، فنستعدّ للقدوم عليك ونعمل ما يقربنا الزلفى إليك.

ثم يطلبون طلبًا فيقولون: "**{رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} أي: لا تسلطهم علينا بذنوبنا**".

ماذا يفعلون لنا؟ لها وجهان: الوجه الأول:

"**فيفتنونا، ويمنعونا مما يقدرون عليه من أمور الإيمان**".

أي يتسلّط هؤلاء الذين كفروا، تكون سلطتهم على أماكن العبادات، على الأوضاع التي تساعد على العبادات، فيتسلطون سلطة إدارية أو يتسلطون سلطة سياسية أو حربية، نعوذ بالله من شرهم، فإذا تسلطوا وفي نفوسهم الحقد والحسد على المؤمنين وكراهية أن يكون أحد يمارس ما يخالفهم، لأن الإنسان لما يصل إلى حال السلطة يتسلط تسلطًا يوصله لدرجة أنه يريد أن يحمل الناس على رأيه، وأن لا يعتقد أن صلاحًا غير ما يقول، فما كان من هؤلاء إلا أن قالوا: {رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} فيتسلطون علينا، فيمنعونا مما يقدرون عليه من أمور الإيمان. الوجه الثاني:

**"ويفتنون أيضا بأنفسهم، فإنهم إذا رأوا لهم الغلبة، ظنوا أنهم على الحق وأنا على الباطل، فازدادوا كفرا وطغيانا".**

أي: يرون المسلمين متأخرين، ويرون المسلمين يتصرفون تصرفات غير لائقة، فيكون هذا فتنة للذين كفروا، يقولون: لو كانوا هؤلاء على الحق لرأينا آثار الحق عليهم، لو كانوا هؤلاء على الحق لانتصروا، لو كانوا هؤلاء على الحق لما وقع عندهم هذا الفساد أو ما وقع عندهم هذا الباطل، ومن هذا الكلام الذي يجعل الكفار يُفتتنون بالمؤمنين فتنة تردهم عن أن يستقيموا على الدين.

**"{وَاغْفِرْ لَنَا} ما اقترفنا من الذنوب والسيئات، وما قصرنا به من المأمورات.**

**{رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ} القاهر لكل شيء.**

**{الْحَكِيمُ} الذي يضع الأشياء مواضعه".**

لماذا يسألون الله بهذين الاسمين (العزيز الحكيم)؟

**قال: "فبعزتك وحكمتك انصرنا على أعدائنا، واغفر لنا ذنوبنا، وأصلح عيوبنا".**

قدِّر علينا من الأقدار ما يكون سببًا لنصرتنا وأنت العزيز القادر على نصرتنا، وأنت الحكيم الذي تجري هذه الأقدار بصورة توصلنا إلى النصر، وتوصلنا إلى المغفرة، وتوصلنا إلى إصلاح عيوبنا.

إذًا ننظر مرة أخرى لدعائهم من أجل أن تستقيم حياتهم، يطلبون من ربهم، يريدون أن يكونوا متوكلين، منيبين، مستعدّين للقاء الله، يتيقّنون أنهم إلى الله صائرون فيستعدّوا.

إذًا يريدون أن يكونوا متوكلين بقلوبهم فتستقرّ قلوبهم وتطمئن، ويريدون أن يكونوا ممن أنابوا إلى ربهم بالعبادات، أي: عادوا إليه وإلى طاعته وإلى مرضاته، فلا يبتعدون عنه، ويريدون أن يستعدوّا للقائه دائمًا ماذا قالوا: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾.

أيضًا علاقاتهم بالخلق تخيفهم، الناس حولهم يتخطّفونهم من كل مكان، ماذا يطلبون؟ {رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا}، لأنه لما يغفر لنا الله، يصلح عيوبنا ويصلح قلوبنا، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ الأحزاب: ٧٠ ، ﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ الأحزاب: ٧١، يصلح لكم قلوبكم، يصلح لكم نياتكم ومقاصدكم ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ

ٱلْحَكِيمُ ﴾. إذًا نحن نسألك هذه الأسئلة ونحن على يقين أنك العزيز الحكيم، فبعزتك تغلب وتحفظ وتمنع عن المؤمن الشر، وتغلب له أعداءه، وبحكمتك يكون هذا الأمر فتأتي التقادير عجيبة تزيد من إيمان العبد

**"ثم كرر الحثّ لهم على الاقتداء بهم، فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ "**

بدأت الآية ٤ بقوله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ، وهنا ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ،

**"ثم كرر الحث لهم على الاقتداء بهم، فقال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}، وليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة".**

ليس من السهل أن يكون إبراهيم عليه السلام إمام التوحيد وأفعاله قدوة يجعلها الإنسان أمام عينيه.

**"وإنما تسهل على من {كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ} فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب، يسهل على العبد كل عسير، ويقلل لديه كل كثير، ويوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين، فإنه يرى نفسه مفتقرا ومضطرا إلى ذلك غاية الاضطرار".**

إذًا ما الذي يجعل الإنسان يتيسّر عليه أن يجعل هؤلاء العظماء الذين أثنى عليهم الله قدوته؟ أن يرجو الله واليوم الآخر، أي مؤمن بالله ينتظر أن يلقى الله، وعلى يقين أنه سيلقاه، ماذا يفعل في الدنيا؟! يحتسب على الله أجور أعماله، يسبح وينتظر من الله أجر هذا التسبيح في الآخرة يوم أن يلقاه، ومن المؤكد أن التسبيح والذكر والدعاء والأعمال الصالحة كلها مقصودها أن نلقى الله وقد قبلها منا وتنفعنا لما نلقاه. لكن هذا لا يمنع أن يكون من آثار هذه الأعمال أن يصلح الله أحوال الخلق في الدنيا.

هم في أصل حالهم ماذا يريدون؟ ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ ﴾ أي إيمانًا واحتسابًا للثواب.

**احتسابه بمعنى**: أنه يرجو الله ويرجو أن يلقاه في اليوم الآخر، فيرجو أن يلقاه في اليوم الآخر وقد قبل أعماله التي عملها في الدنيا فيعطيه الثواب ويصرف عنه العقاب.

إذًا لو وُجد الإيمان بالله واليوم الآخر، يسهل على العبد كل عسير، فيتصور هذا القيام بين يدي الله، هذه الصلاة وهذا الصيام وهذا الحبس للنفس عن الطعام يتصوره وقد تحول إلى ما يوزن يوم القيامة، فتثقل الموازين.

فرأس مالك **عمرك** الذي عليك أن تشغله بالعمل، من أجل أن تلقى الله وهو راضٍ، فهذا يجعل العبد يسهل عليه كل عسير، ويُقلِّل لديه كل كثير، فإن الإنسان في مثل هذه الحال ينفق وينفق من وقته ومن جهده ومن ماله وهو يرى ذلك كله قليلًا في مقابل ما سيكون، ويوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، إذا كان يرجو الله واليوم الآخر سيهتم بمن رضي الله عنه وأثنى عليه ماذا كان حاله؟ أنا أريد أن أسير مثلما سار هؤلاء، أريد يارب الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم، فتش عن الذين أنعم عليهم الله من الأنبياء والمرسلين والصحابة الكرام الطيبين، فتش عن هؤلاء وابحث عن أفعالهم وانظر إليهم نظر المعظم الذي يعظمهم لأن الله عظمهم.

فإذا كان اتخاذ القدوة من هؤلاء الذين أثنى الله عليهم إنما هو دليل الايمان، فعلى ذلك علينا أن نفتش في قدواتنا، وعلينا أن نقرأ فيما ذكر الله عزّ وجلّ من قدوات، كما في سورة التحريم لما ذكر سبحانه وتعالى مثلًا للذين آمنوا ومثلًا للذين كفروا، فكأنه يقال: كونوا على حذر من قدوة الشر، وتابعوا قدوة الخير.

إذًا خرجنا الآن من **سورة الممتحنة** بأن اتخاذ الأنبياء والمرسلين ومن أثنى عليهم الله في القرآن قدوات، هذا من الأدلة على أن الإنسان يرجو الله واليوم الآخر، الذي يرجو الله واليوم الآخر يقتدي بهم ويجعلهم أسوة، ومعنى ذلك ابحث عن قدوة الخير في القرآن، وأيضًا لما يذكر لك بالذم أحد كن في جانب بعيد عن حال هؤلاء الذين ذمهم الله.

## المقطع الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ التحريم: ١٠ – ١٢.

نأتي لمثلين ضربهما الله للنساء، وهما بمثابة النموذج ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ هذا المثل بمعنى النموذج:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ ﴾ فماذا فعلتا؟ ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ هل ينفعهما هذا؟ لا، لم ينفعهما، ﴿ فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾.

إذًا هذا يدلّ على أن القرابة لا تفيد شيئا، إنما أنت من؟ ماذا فعلت؟ فلا يكن منك الشعور بالطمأنينة لأي سبب من الأسباب، لا قرابة لأهل الخير ولا نسب ولا صحبة ولا معاشرة لهم ولا أي شيء من هذه الأسباب أبدا، إنما هو ماذا فعلت أنت؟ فضع هذا النموذج أمام عينيك وكن على حال من التقوى شديد، نموذج خطير.

**النموذج الأول:** امرأة نوح، نوح عليه السلام أول المرسلين، من طال عمره في الدعوة إلى الله، من كان له المواقف العظام، دعا قومه ليلاً ونهارًا، سرًّا وجهارًا، بذل وبذل في دعوته، لم تكن امرأة نوح من أهله الذين ركبوا معه في السفينة ونجوا، وقعت منهم الخيانة، ما معنى الخيانة هنا؟ ليست الخيانة خيانة النسب والفراش، إنما هنا الخيانة بمعنى المخالفة في الدين، والمخالفة في الاعتقاد، فمن هنا أتت الخيانة، هي وامرأة لوط فعلا هذا الفعل، النتجية؟ لم ينفعهما، ولم يغن عنهما من الله شيئًا قرابتهم وكونهم من أهل بيت الأنبياء هؤلاء.

فما أعظم المخالفة وما أخطره! وما أقوى الألم بانقطاع الحال وانقطاع النسب واختلاف الناس وقتما يأتي الحساب!

فهذا النموذج ضعه أمام عينيك وكن في حال خوف، لا ينفعك صحبة الصالحين، والعلماء، والمصلين، والصادقين، عليك بنفسك، لا تكن مع أهل الخير وقلبك خائن للخير لا يحبه ولا يريده، إنما وجدت نفسك مع أهل الخير فأصبحت معهم تدخل مدخلهم وتخرج مخرجهم ﴿ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ ﴾ ، فهذا هو الأمر الخطير الذي إذا وقع على العبد منه شيء أي غش النفس، إذا وقع في القلب منه شيء خرج من أعماله كأنه لم يدخلها، نعوذ بالله من الخذلان.

**في مقابل ذلك ضرب الله مثلا نموذج آخر من نماذج الايمان اتخذوه اسوة.**

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ ﴾ وننظر إلى امرأة فرعون كيف وصفها الله، أول وصف لها أنها نموذجًا للذين آمنوا رجالاً ونساء، انظروا كيف أثنى الله عليها ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ ﴾، ما حالها؟ تتضرع إلى الله، تسأل الله، تسأل الله سؤالا يدلّ على قوة رجائها في الله والدار الآخرة.

تقول ﴿ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾ ، تطلب أجلّ الطلبات، هذا يظهر أن عندها أعظم الرغبة فيما عند الله، فمن أين أتت هذه الرغبة فيما عند الله؟ هذه الرغبة تأتي من قوة الإيمان، قوة الإيمان لا تضرها مخالطة الكافرين إن كانوا في حال من الاضطرار، فهي كانت تحت هذا الكافر، مضطرة لا تستطيع الخروج، كان فرعون أعتى أهل الأرض، فو الله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها، هذا لتعلموا أن الله حكم عدل لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه.

وقد ورد فيما قيل أن امرأة فرعون كانت تعذب في الشمس، فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة، والله أعلم بالحق.

المقصود أن هذه المرأة كانت مثلا ولازالت اختارت الجار قبل الدار، ﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾ أي خلصني منه، فإني أبرأ إليك من عمله ﴿ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

المقصود أن اليقين الذي في قلبها جعلها تطلب النجاة من أقرب الناس إليها وأكثرهم سلطة عليها، وهو الذي يستطيع أن يغريها ويغريها بما معه من مال ومامعه من سلطان، يغريها ويخيفها، ينذرها ويبشرها يعاملها معاملة السيد لأمته ومع ذلك قوى الله إيمانها.

**"فاستجاب الله لها، فعاشت في إيمان كامل، وثبات تام، ونجاة من الفتن، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ))[1]".**

**ثم يأتي المثل الثاني:**

﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ التحريم: ١٢

**"وقوله {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} أي: صانته وحفظته عن الفاحشة، لكمال ديانتها، وعفتها، ونزاهتها".**

[1] متفق عليه.

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ الإحصان: هو العفاف، فحفظته وصانته، وأعظم مايأتي البلاء للنساء من هذا الباب، فالله عزوجل وصفها بأنها كانت محفوظة من الفاحشة؛ والسبب كمال دينها، عفتها، نزاهتها، بعدها عن الشبه، صبرها.

**"{فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا} بأن نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها فوصلت نفخته إلى مريم، فجاء منها عيسى ابن مريم عليه السلام، الرسول الكريم والسيد العظيم".**

﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ وهذا كان بواسطة الملك، فجاء من هذه النفخة عيسى عليه السلام، فنفخ جبريل في جيب درعها، فوصلت نفختها إليها فحملت بعيسى عليه السلام.

**"{وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ} وهذا وصف لها بالعلم والمعرفة، فإن التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته الدينية والقدرية، والتصديق بكتبه، يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل".**

﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾ فمثل هذا الذي حصل عليها أمر جلل عظيم، أمر لا يحتمله إلا من كان مؤمنًا، فهي وصفت بالعلم والمعرفة؛ لأن التصديق بكلمات الله معناه تصدق أمره الديني -الأخبار الدينية- وتصدق الأخبار القدرية، تصدق الكتاب، وتصدق ما وقع عليها من أقدار، وقد وقع عليها قدر عظيم، فصدقت أنه من عند الله وآمنت ووصفت بالعلم، وهذا كله مما علينا أن نتخذه نموذجا وأسوة.

**"ولهذا قال: {وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} أي: المطيعين لله، المداومين على طاعته بخشية وخشوع، وهذا وصف لها بكمال العمل، فإنها رضي الله عنها صديقة، والصديقية: هي كمال العلم والعمل".**

وهذا وصف لها بكمال العمل، والصديقية: هو اجتماع كمال العلم وكمال العمل، وقد اجتمع في حقها مريم الصديقة.

فإذا علمنا ذلك، عرفنا أن هذه النماذج، **نماذج الإيمان**، إبراهيم عليه السلام والرسل، والأحداث التي حصلت في حياتهم، وامرأة فرعون وعلو شأن مقصدها، ومريم ابنة عمران وعلمها وفقهها وإيمانها وتقواها وعفافها، كلها نماذج تُشهر ويُسمع عنها ويُكرر وصف تفاصيل أحوالهم كما ورد في الكتاب والسنة، ومن هنا تعرف مع من ترتبط وبمن تتعلق وكيف توالي وتبرأ؟

فلا تظنّ أنه تنفعنا الدعوى لما نلقى الله، إنما الحقائق التي نحملها في قلوبنا هي التي تظهر لما نلقى الله، لا تظنّ مخالطة أهل الإيمان تكفي عن أن تفتش عن الإيمان في قلبك، ولا تظنّ أن دعوى الإيمان تكفي، بل علينا جميعًا أن نجعل هؤلاء العظماء الذين ذكروا في القرآن نماذج أمام عينينا، ونعرف أن الاختبارات تأتي على العبد وأنه عليه أن يكون متبعًا في ظنه، وفعله، وتفكيره حال هؤلاء الكرام كما أمر الله عزّ وجلّ وأخبرنا عنهم.

نحمده سبحانه وتعالى أن حقق لنا المقصود، ونرجو منه أن يكون هذا بداية لخير، نبحث عن أحوال هؤلاء نجعلها أمام أعيننا وننشرها بين أبنائنا وذرارينا .